سلم العالم

شعر الانسان منذ زمان ان التنازع على الحياة في هذه الكرة وهي من اصغر اجرام السماء وان السعي والاهتمام باحلال الافتراق والشقاق محل التعاون والتآزر وعيشة الغبطة — انما هو حمق وجنون . وقد اشتغل الانسان منذ زمان بعيد بازالة هذا الجنون ودفع هذا المرض ولكنهُ لم يفز بامنيتهِ هذه حتى الآن . ولم ذلك؟

ذكر الحكماء بركات السلم وبسطوها للناس ونادى بها الانبياء ومع ذلك لا تزال الدنيا بعيدة عنها كما كانت . والسبب الظاهر في ذلك ان السلم ليس بشيء ينزل من السماء كالمنّ والسلوى بل هو نتيجة من نتائج الانسانية والانسان لا يشعر بالانسانية حتى الآن .

وقد حاولت الدول العظمى ان تشيد السلم في العالم وسعى كبار الفاتحين في تقريره على حد سيوفهم ولكنهم صافوا بالامر ذرعاً وكلّت هممهم فان انتظار السلم من الحرب والتين من الخشونة مستحيل ولا يمكن ان تنبت شجرة السلم من ارض الحرب

والآن نرى ان هذا الوهم العتيق اخذ يعود الى الامم فاخذت تدرك ان الحرب تمنع الحرب والقوة العسكرية تمحق القوة العسكرية . وفي هذا العلاج المكروه اي مقابلة المثل بالمثل شيء من الحقيقة . وقد جرى الناس عليهِ منذ القدم . وهم يتوهمون ان الفوز الحربي يوطد السلم في العالم مع ان السلم العام ليس ذاك الذي يكره عليهِ الغالب او الفاتح او القوي المغلوب او الضعيف . فان الدنيا لم تتبع شروط السلم التي وضعها الرومان الاقدمون . وما السلم الذي تنشدهُ الامم الا ذلك السلم العام الذي لا تمضيهِ الامم الفاتحة بل الامم الحرة والذي لا تملي شروطهُ الامم الغالبة بل امم العالم باسرها بل البشرية نفسها

لا يمكن ان يقرر السلم في العالم بالقوة العسكرية ولا يضعف حزب «السلميين» (Pacifist) لاننا شاهدنا كيف خذلوا في هذه الحرب وكان اساس بنيانهم السلم الذي نادى بهِ كل الاقوام رسمياً وكل الحكام حتى قيصر الروس نفسهِ . واقامت الحكومات الاوربية المجالس الحافلة لتأييد هذه الدعوة وبنت قصراً مشيداً باسم السلم . ولكن من نفس ذلك اليوم وضع اساس تلك الحرب الهائلة التي لم يبق لها نظير

ان جميع الشارعين في اوربا انشأوا بالقوانين التي سنوها مجالس عظيمة تحلّ فيها الخصومات بالحق لا بالقوة . وسنوا قوانين وبنوداً للحرب وتأييد الحق ومع ذلك ما غلبت القوة الحق كما غلبتهُ اليوم . وكانت احزاب العمال في جميع الممالك قد اتحدت ضد الحرب وتحالفت ان تثور طلباً للسلم في زمن الحرب . وحسب الناس ان وجود جمعية الدول المركزية ضمان تامٌ للسلم . ولكن اصحاب الجمعية انقسموا اثاروا غبار الحرب واجروا الدماء انهاراً خمس سنوات . ويا للعجب كيف ترجز تلك الالسنة بالاناشيد الحربية وهي التي كانت بالامس تلقي علينا دروس المؤاخاة والسلام

كانت الامم كلها قد تعاهدت وتواصت بالسلام ووضعت المشروعات للاتحاد واتقاء الحرب واعدّت معاهدات كانت في غنى عنها . ولكن كل هذا وذاك صار سبباً للحرب والقتال وعلة للقلاقل والبلابل . ولله درُّ معروف الرصافي حيث قال:

الى الله نشكو الامر من مدنية تعارض في اوصافها الكذب والصدقُ
وكم قد تمنا ساسة الغرب تدّعي باشياء من بطلانها ضحك الحقُّ
فهم منعوا رقّ الاسير وانما اجازوا لهم ان يشمل الامم الرقُّ

وحزب « السلميين » كان يتوهم ان ازدياد المواد الاقتصادية وكثرة المعامل والقلاع مؤيدان لمذهبهِ . وان ساحات القتال ستكون في المستقبل مراكز التجارة تحت رايات الاهات التجارة . وان جميع الحروب المقبلة تكون حروب تنازع في التجارة وان فتوحات المستقبل وزيادة الانتاج والحاصلات ستكون مترادفات . هذا ما كان يزعمهُ ذلك الحزب ولكن الذي شاهدناهُ هو ان التجارة او المنافسات الاقتصادية التي كانت سبب رقي الانسان هي التي اقتادتهُ الى حفرة السآمة والملاكة فافضت الى موت اربعين مليوناً من النفوس وخسارة ٣٠ الف مليون من الجنيهات اي نحو ثلث ثروة الدنيا . فبعد هذا من يستطيع ان يقول ان خسارة هذه الضحايا البشرية وضياع هذه الثروة الطائلة انتهيا باتهاء الحرب وانهُ لا تنشب في المستقبل حروب اخرى . ان الزراعة والتجارة ابتلعتا الزارعين والمستثمرين والمشتغلين بالحرث والزرع . كان يقال ان الخوف من المعدات الحربية وفظاعة اسباب الهلاك الجديد تجعل الانسان يثوب الى رشده ويمتنع عن الحروب . ولكن البشرية جربت فوجدت ان تلك الاقاويل كانت افكاً وتخرصاً بعد

الحرب التي اثيرت عليها لهدم بنائها واعدام وجودها مدة خمس سنوات . ومن يعلم هل انطفأت نارها تماماً وهل زال المرض من قلوب مثيريها بالكلية

اما خيبة آمال « السلميين » هذه الخيبة الكاملة فلها اسباب جمة . اهمها ان هذه الحرب كانت اوربية بحتة اثارها دهاة اوربا وساستها وحاكموها ولم تكن غايتها السلم العام المشترك

ان كنتم تنشدون السلم حقيقة فاطلقوا الشعوب المملوكة واعطوها حقوقها من الحرية والاستقلال والا فلا تحدثونا عن السلام العام . وافضل من ذلك ان تطهروا قلوبكم ونفوسكم من التخاصم والتنافر والحرص وعتو القوة لان اساس الحرب والسلام هو القلب بوجه خاص. فان لم يكن في قلوبكم مكان للسلام والصلح فكل مجهود « السلميين » يذهب سدى فتنشب الحروب وتأخذ في تيارها انظمتكم وقوانينكم ومحاكمكم التي اقتدرها للقضاء وتجرفها بامرها. وكم اقتم من هذه الحواجز لدفع الطغيان المشوم ولكن اذا اندفع تياره كسر كل الحواجز وجرفها

انما مصدر السلام ومنبعهُ قلب الانسان الذي يندفع منهُ تيار الدم وتجري منهُ انهار الحنو والرأفة التي تطفىء نار الحرب. فلا يمكن القضاء على الحرب قبلما تصلح نفس الانسان في باطنها . ولن تجدي التدابير والمجهودات نفعاً حتى يطهر قلب الانسان من الحرص والضغن والكبر

وقد مزقت التجارب الآن الستار عن ابصار الاقوام وزالت الطلاسم فعلموا ان التوقيع على اوراق المعاهدات ليس مرادفاً للسلام . نعم ان جمعية «السلميين» لم تتمكن من ازالة الاحوال القديمة ولكن فشلها سيكون رائد الفوز في المستقبل. وسيثبت ان هذا الصارم المسلول الذي قطع عظام البشر ومفاصلهم خمس سنوات كان ضربة لازب لرقي الانسانية

فالغاية العظمى التي لم تبلغها الدول الكبرى ولا اهل المذاهب الوجيهة في الماضي والتي عجز عنها التمدن الحالي انما تنال بشيء واحد فقط هو العاطفة الانسانية في الانسان وشعور الجزء بكلهِ — حينئذٍ يشرق السلام في قلوب الناس

ابو النصر السيد
محمد احمد المدعو
بهوپال (بالهند) بسلطان محلة نظر گنج